التشكيك والتفويض الى ملك الملوك قال الشارح قد يعدم غير من ان التسليم والتفويض اعلى من
التوكل وربما يجوز باطلاق اسم التوكل عليهما كما تقدم لكونهما من ثمراته واما نفي التشكيك فلا بد منه
بالكلية فان التوكل انما يكون عن قوة اليقين وهو بعيد عن التشكيك بالكلية قال الامام رضي الله عنه
وقيل دخل جماعة على الجنيد رحمه الله فقالوا اطلب الرزق فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه
فقالوا ندخل البيت ونتوكل فقال التجربة شك فقالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة قال الشارح رضي الله
عنه وهذا كلام بالغ في تعليم التوكل سوا وجدت الاسباب اولم توجد وذلك ان قوله ان علمتم اين هو
فاطلبوه وذلك ان الرزق عند اهل الحق هو ما ينتفع به المرزوق لا ما ملكه بل لا ما ياكله ويبتلعه
فان العبد قد يبتلع الطعام ويحدث الله في نفسه منه شيئا فيقذفه من جوفه ويكون من رزق بعض
الحيوانات لا رزقه فاذا تقرر هذا فلا يقدر العبد ان يعرف اين رزقه بالكلية فانه لا يدرك
ما الذي ينتفع به وقوله لهم لما قالوا ندعو الله فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فيه اشارة
الى انه ما يستحق ان يصل اليكم فلا بد ان يصل سوا اعليكم دعوتم اولم تدعوا فادعوا الله عبادة
وطاعة فهو اولى وقولهم ندخل البيت ونتوكل فقال التجربة شك اي تدخلوا البيت مجربين
هل يرزقكم ام لا فهذا شك في ضمانه وفيه اشارة الى ان الدخول في البيت والتسبب في الرزق
سوا بالنسبة الى ما قدر فقالوا له ما الحيلة قال الحيلة ترككم حيلة انفسكم واعتمادكم بقلوبكم على
الله واشتغالكم بما امرتم به وهكذا يجب ان يكون شغل العبد بما امر به واعتماده بقلبه على ربه
قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري يا احمد ان طرق الاخرة
كثيرة وشيخك عارف بكثير منها الا هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة قال الشارح
رضي الله عنه وهذا وقف السيد على كلام ابي سليمان واقراره على نفسه بان اعلى مقامات التوكل لم
يتمكن فيه بعد وان كان ادرك من مقامات السالكين شيئا كثيرا وذلك ان من مقامات التوكل فان التوكل
منقسم الى واجب ومندوب والمندوب ينقسم الى درجات وقد تقدم ان اعلى درجات التوكل
التفويض الى الله تعالى في ساير الاحوال وقد يكون ابو سليمان اورد هذا تبرا من حوله وقوته
واضافة نيل المقام لنفسه وان كان الحق مكنه فيه ويكون كلامه لاحمد لا يريد به ويكون مع الله
تعالى في ساير احواله متبرا من حوله وقوته مضيفا ذلك الى ربه وهذا اوجه وهو اللايق بحال
ابي سليمان لكمال معرفته وعلو درجته وقد يكون اخبر عن نفسه على التحقيق بانه لم يكمل مقاما
مقاما عاليا في التوكل ادركه علما لا حالا ويكون اقرارا على نفسه وتاديبا لها لتنتصب بها
في نيل اعلى المقامات والله الموفق للصالحات قال الامام رضي الله عنه وقيل التوكل الثقة بما في
يدي الله تعالى واليأس عما في ايدي الناس قال الشارح رضي الله عنه وهذان الاصلان متلازمان
للتوكل حاصلان عليه فان من وثق بما عند الله اعتمد عليه ومن قطع اياسه عما في ايدي الناس
اعرض عنه ولم يلتفت اليه فحقيقة التوكل الاعتماد على الله لا على غيره من الاسباب قال

الامام رضي الله عنه وقيل التوكل فراغ السر عن التفكر في التقاضي في طلب الرزق قال الشارح رضي الله
عنه وهذا من ثمرات التوكل لا نفسه وكمال الثقة بما في يد الله ووعد الله ثمر التوكل لا عينه وكذلك
راحة القلب من التفكر في جهة تحصيل الرزق من ثمرات التوكل لا عينه فان من توكل على الله
المالك لكل الامور ولم يلتفت الى غيره من الاسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وان امره ربه بالاكتساب
في بعض الاوقات اكتسب وتسبب مع برودة القلب وراحته من هم الطلب ونظر الى المسبب لا السبب
قال الامام رضي الله عنه وسيل الحارث المحاسبي رحمه الله عن التوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه
من طريق الطباع خطرات ولا تضره شيئا وتقويه على اسقاط الطمع الياس عما في ايدي الناس قال
الشارح رضي الله عنه وهذا صحيح في ابتداء التحلي بمقام التوكل فان العبد لما تعود في ابتداء امره الالتفات
الى الاسباب وحصول المنافع من المعايش والاصحاب واستمر على ذلك مدة الى ان كشف عنه
هذا الحجاب وتبين انه لا فاعل ولا محرك ولا مسكن لشيء غير رب الارباب واعمل نفسه في الاعراض
عما تقدم له بسوء الاغنيا فتنبعث في نفسه خواطر تجاذبه الى المعتاد فسماها الامام المحاسبي طباع
يعني عادته المتقدمة فيصير طمعه في الخلق قليلا فكلما قوي يقينه وراى الطاف الله تعالى به في
ساير تصرفاته ضعف التفات نفسه الى ما مضى من عاداته فاذا دام له هذا التعلق لليقين وقطع
ياسه من حصول خير او دفع شر بغير الحق بالبرهان المبين فهذا هو قطع الياس عما في ايدي
الناس فاذا قطع اياسه مما في ايديهم اعتمد بقلبه على من تفضل عليه وعليهم قال الامام رضي
الله عنه وقيل جاع النوري في البادية فهتف به هاتف ايما احب اليك سبب او كفاية فقال
الكفاية ليس فوقها نهاية فبقي سبعة عشر يوما لم ياكل قال الشارح رضي الله عنه وهذا الذي
قدمناه من ان الرزق لا يلزم ان يكون طعاما بل ما ينتفع به ويصلح به قلبه ويقام به بنيته
لعبادة ربه هو الرزق النافع كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فلما جاع النوري
هذه الايام احدث الله في قلبه خاطرا ايما احب اليك ان تخرق لك العادة في سببا وكفاية
ولو اختار السبب اتاه بالطعام من حيث لا يحتسب اما على يد ولي من الجن او الانس او ملك
او بدعاية او تركض رجله او ما يجري مجراه من الاسباب التي تكون معها العادات فلما اختار الكفاية
وهو ان تخرق له العادة في ان يغنيه عن الطعام والشراب زيادة الى ما قواه واغناه فصبر بعد ذلك سبعة
عشر يوما لا ياكل شيا وقوله الكفاية ليس فوقها نهاية يعني بالنسبة الى حاله فان غيره رزقه الله اكثر من هذا
من الصبر عن الطعام والشراب قال الامام رضي الله عنه وقال ابو علي الروذباري اذا قال الفقير بعد خمسة
ايام انا جايع فالزموه السوق وامروه بالعمل والكسب قال الشارح رضي الله عنه وهذا قد تكرر مرارا
ان العبد لا يخلي نفسه عن السبب الشرعي ولا يترك حمل الزاد في الاسفار الا اذا رزقه الله الصبر عن الطعام
والشراب مدة يستغني فيها عن الناس والسؤال منهم فاذا من الله عليه بذلك لا يضره ترك السبب والسفر بلا
زاد بما عوده الله من الخير والصبر والقوة على ذلك ولا يكون مغررا بدينه ولا بنفسه اما دينه فبان يضعف

Copyright © King Saud University